جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
دكتوراه إسلامي
المادة: منهج البحث

المحاضرة الثامنة

تدريب عملي لتخليص كتاب

أ.د. قبس فاروق صالح

٢٠٢٥ / ٢٠٢٦

تدريب عملي لكيفية تلخيص كتاب

ملخص لكتاب الاندلسيون المواركة

نقصد بالأندلسيين « المواركة » العرب الذين بقوا في قشتالة ومملكة غرناطة إثر صدور مرسوم التنصير سنة ١٥٠٢م ، والأندلسيين البلنسيين الذين نصرهم الرعاع بالقوة سنة (١٥٢١م) . « المواركة » تعريب لكلمة Moriscos القشتالية التي تعنى « النصارى الجدد » أو « النصاري الصغار » . وسبب اختيار « المواركة » محاولة التفريق بينهم وبين الأندلسيين الذين سكنوا شبه جزيرة ايبرية قبل سقوطها جزءا خلف الآخر طوال عدة قرون . واستخدم بعض المؤرخين وصف « المتنصرين » على الأندلسيين الغرناطيين ولكن هذا الوصف لايتمشى مع واقع الأمور كما سيتبين في النص . استكملت الملكة ايزابيلا سنة (١٤٩٢م) مابدأه بلايو قبل سبعة قرون فسددت طعنه أخير قاضية للأندلس راسمة باستسلام غرناطة معالم كارثة لم يعرف الوطن العربي مثيلا لها . ولكن زوال السلطة الإسلامية عن شبة جزيرة ايبرية لم يتضمن زوال الأندلسيين . وأن تمكنت تقويض الجسد الأندلسي فإنها لم تستطع السيطرة على الروح قشتالة من هذا الكتاب محاولة جادة لتسليط الضياء على تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة وازالة الغموض الذي لف سيرتهم ، وانصافهم من الموقع الاذي احتلوه كحاشية في مجلدات التاريخ الأندلسي . وهو أيضا محاولة جديدة لكشف خيايا التاريخ الأندلسي الموركي وسرد وقائع النضال الذي خاضه أكثر من ثلاثة ملايين أندلسي في سبيل الحفاظ على وجودهم وعروبتهم ودينهم طوال قرنين كاملين نظموا خلالهما ثورتين مشرفتين تصدوا فيهما لاعتى قوى الأرض في القرن السادس عشر والكتاب صفحة جديدة لوضع نضال الأندلسيين المواركة ضمن اطارية الدولي والمحلي

الاصول القوطية لشبة الجزيرة الايبيرية : تؤكد الآثار المكتشفة في عدد من مناطق الدولة التي نعرفها اليوم باسم أسبانيا أن انسان ماقبل التاريخ المسجل كان يعيش في مستوطنات بالقرب من مدينتي المرية وسنتندير وغيرهما ، قبل أن تتعاقب عليها أقوام مختلفة أستوطنتها بعد الدخول اليها من الشمال أو الشرق أو الجنوب . وفي حوالي ١١٠٠ قبل الميلاد استوطن الفينيقيون الأجزاء الشرقية والجنوبية من البلاد ، وبنوا عددا من المدن التي مايزال بعضها عامرا حتى اليوم ، مثل قادس وعدرة وولبة وطرشيش ومالقه . ومع ظهور الممالك اليونانية القديمة واتساع نفوذها في منطقة البحر الأبيض المتوسط رحلت جماعات يونانية ؛ لتستوطن بعض مناطق الساحل الشرقي ولاسيما امبرياس (امبورش) ودانية (دانه) ، وكان ذلك في الفترة بين عام ٦٣ و ٥٧٠ قبل الميلاد ، وربما عرفت البلاد بعدها باسم ايبرن (ابارية) . وحوالى عام ٨٥٠ قبل الميلاد أقام الفينيقيون مدينة على ساحل تونس الحالية ، عرفت باسم قرطاجة ، اتسع سلطانها فشمل اغلب ساحل الشمال الأفريقي ، وبنوا المستوطنات والمراكز التجارية على سواحل الشمال الأفريقي وجزر صقلية وسردينيا وميورقة ومنورقة والمناطق الجنوبية والشرقية من اسبانيا ، واستوطنوا عددا من المدن بينها قرطبة واشبيلية وقرطية ، التي عرفت باسم « برج قرطجنة » أيام الأندلس . واستمرت سيطرة قرطاجة على ايبرية حتى اندلعت الحروب بينها وبين الرومان إثر النزاع الذي وقع في صقلية عام ٢٦٤ قبل الميلاد. كان من نتائج هذه الحروب قيام الرومان باحتلال شبه جزيرة ايبرية التي استخدمها هنيبعل ، وأخوه من بعده ، مركزا مهما لمحاربة روما وتجنيد المرتزقة ، والحصول على الفضة التي كانت تستخرج بوفرة من مناجمها , حدث هذا الاحتلال الروماني سنة ٢٢١ ، ولكن روما لم تتمكن من بسط سيطرتها على البلاد إلا بعد حروب السكان الأصليين استمرت ٢٠٠ عام . وقسم الرومان شبه الجزيرة إلى خمس مقاطعات ، مع وعرفت تحت سيطرتهم الرخاء الاقتصادي

والأهمية السياسية والفكرية ،فاعتلى عرش الامبراطورية الرومانية أربعة من الأباطرة الذين ولدوا في شبه الجزيرة التي كانت أيضا مسقط رأس عدد كبير من الفلاسفة والأدباء أمثال سينيقه ولوقان وكولوميلا .

القوط الغربيون :أطلق الرومان اسم « البرابرة » على جميع الأقوام التي كانت تعيش خلف الحدود الطبيعية التي يشكلها نهرا الراين والدانوب ، وتحمل اسم القبائل الجرمانية رغم انها كانت تضم قبائل مختلفة مثل القوطيين والوندال والفرانك والانجلز والساكسون . وحاولت القبائل هذه المرة تلو الأخرى دخول أراضى الامبراطورية الرومانية بحثا عن المناخ الأفضل والفرصة المناسبة للاتجار والربح ، ولكن الفرق الرومانية كانت تصدهم المرة تلو الأخرى أيضا . وتغير هذا الموقف مع نهاية القرن الثاني للميلاد فقل جنود الامبراطورية مما اضطرها الى توظيف المرتزقة من رجال القبائل للخدمة في جيوشها ، وكان لهذا القرار نتائج سلبية تأخر مفعولها الى نهاية القرن الرابع الميلادي . ومن المشرق زحفت قبائل آسيوية نحو وسط اوروبة الحالية بحثا عن المراعي الجديدة ، فحدث اضطراب كبير في التجمعات السكانية وسط القارة وشمالها سمحت الامبراطورية الرومانية على إثره لحوالي ٨٠،٠٠٠ شخص من قبال القوط بعبور نهر الدانوب والالتجاء الى أراضي الامبراطورية . حدث ذلك سنة ٣٧٦ ميلادية ولكن تقدم القبائل لم يتوقف ، واخفقت الامبراطورية في منع هذا التدفق السكاني لأنها اعتمدت على القبائل لحماية أقسام من حدودها . ومع الزمن اكتشفت القبائل ضعف الامبراطورية ؛ فوراء الحاميات الضعيفة في الشمال كان الطريق مفتوحا إلى روما وهذا مافعله أحد زعماء القوط (الاريك) عام ٤١٠ ميلادية عندما قاد رجاله ونهبها . وفي عام ٤٧٦ قام زعيم قوطي آخر هو ادواسر بتنحية آخر أباطرة الامبراطورية الرومانية الغربية (رومولوس أوغسطولوس) عن الحكم ، ونصب نفسه ملكا على ايطاليا ولم يكن القوط أول المستفيدين من ضعف الامبراطورية الرومانية الغربية إذ هاجمت قبائل الوندال عاصمة الامبراطورية ، ثم جاء دور قبائل الوندال فهزمت هي الأخرى على أيدي القوط الذين عرفوا باسم القوط الغربيين ، تمييزا لهم عن القوط الشرقيين في القسم الشرقي من أوربا . هذه القبائل تعاقبت على شبه جزيرة ايبرية خلال تلك الحقبة من الزمن ولكنها لم تكن الوحيدة إذ استوطنها اللغرانيون الذين قدموا من شمال ايطاليا قديما ،. ويعتقد البعض أن أصل القبائل الايبية شمال افريقيا وأن سكان اقليم الباسك ، الذين اطلق عليهم العرب اسم (البشكنس) ، انحدروا من تلك القبائل نظرا لتماثل مصادر واشتقاقات بعض الكلمات في لغة سكان الباسك المعروفة لديهم باسم البشكونس وللاسبان باسم اوسكيرا وبين اللغة البربرية ، ويعزز تصور هؤلاء تماثل فصائل الدم بين الباسك والبربر . انظر الاشارة التي ترد دون سند في ضخما سيطر على البحر الأبيض المتوسط ، ووصلت قوتها إلى الأوج بعد نهب روما عام ٤٥٥ ، ولكن المملكة ضعفت بعد وفاة غزريش ، وقضت عليها الامبراطورية البيزنطية في عهد الأمبراطور جوستينيان بدأت حركة الاستيطان التي شملت القوط منذ رحيلهم عن موطنهم الأصلي في بولندا الحالية في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي ، وكانت في اتجاهين : الأول إلى المنطقة التي تقع جنوب اوكرانيا الحالية ، والثاني إلى داسيا (رومانيا) . أما قوطيو الاتجاه الأول فبسطوا سلطانهم على الأراضي التي استوطنوها حتى غزاهم التتار حوالى عام ٣٧٥ ميلادية ، فلجأوا إلى الامبراطورية الرومانية للحماية وسمح لعدد كبير منهم الاستيطان فيها . ولم يكن حظ قوطي الاتجاه الثاني أفضل كثيرا ، إذ هزمهم التتار عام وأخرجوهم من داسيا مما أضطرهم للالتجاء في الجنوب وكانوا من القوة بحيث تمكنوا من هزيمة الرومان في معركة ادريانوبل . قوطيو الاتجاه الأول عرفوا باسم القوط الشرقيين وهؤلاء استطاعوا تأسيس مملكتهم التي استمرت من عام ٤٩٣م وحتى عام ٥٥٣م عندما قهروا في عهد الامبراطور البيزنطى جوستينيان الذي قوض أيضا مملكة الوندال التي كانت أولى الممالك التي أقامتها القبائل الجرمانية على اراضي الامبراطورية

الرومانية . أما القوط الغربيون فقد تنقلوا في المناطق الجنوبية من أوروبة حتى تزعمهم فاليا فأسس أول مملكة قوطية حقق غربية في تولوز الحالية التي كانت تعرف باسم تولوزه ، بعد ان اقطعهم الرمان ثلثي المنطقة التي عرفت باسم اكيتانيا (غربى فرنسا) . هذه المملكة دامت من عام ٤١٩ وحتى عام ٥٠٧ ، كلوفيس زعيم قبائل الفرانك ، انتصارا ساحقا عليهم في معركة فوبية وقوض المملكة القوطية الغربية ثم طرد القوط من اكيتانيا ، واجبرهم على النزوح خلف البيرينية والالتجاء إلى ابناء عمومتهم من القوط الغرسه في شبه جندة أبدية .

المملكة القوطية في طليطلة : حولت القبائل الجرمانية اراضي الامبراطورية الرومانية إلى أشلاء ، وساعدها في ذلك تأكل الامبراطورية من الداخل بفعل الفساد والظلم ، فسقطت القسم الغربي منها وبقيت القبائل التي وضعت ترحالها اعتبارا من بداية القرن الخامس الميلادي وأسست العديد من الممالك . فإن الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) كانت أكثر من ند لبعض الممالك التي أقامتها القبائل الجرمانية فسحقت المملكة القوطية الشرقية في ايطاليا عام ٥٥٣ ، وأحتلت جنوب شبة جزيرة ايبية في العام الذي تلاه بعد الهزيمة التي ألحقتها بالقوط الغربيين ، وكانت قبل ذلك بتسعة عشر عاما قد دمرت مملكة الوندال في الشمال الأفريقي ، وبسطت سيطرتها البحرية على البحر الأبيض المتوسط . كان الغبار الذي اثارته القبائل الجرمانية ينجلي عن مرحلة جديدة من الاستقرار ، ويقدم الأرضية التي قامت عليها الدول الأوروبية فيما بعد . في شبه الجزيرة الأيبيرية طرد القوط الغربيون قبائل الوندال وعرفوا تحت زعامة أوريش ، ولكن المملكة القوطية الغربية لم تأخذ الشكل الكامل لها إلا بعد الأريش الثاني ، في معركة فوييه أثناء قتال قبائل الفرانك . ويعتبر عام مقتله بداية المملكة القوطية الغربية التي استمرت حتى عام ٧١١ ، وانتهت بدخول قوات الفتح العربية إلى شبه جزيرة ايبريه التي عرفها الفاتحون وسكان المغرب الأقصى باسم الأندلس ، نسبة إلى قبائل الوندال التي مقتل سكنت شبه الجزيرة ، قبل أن يطردهم القوط الغربيون منها . برز من زعماء القوط الغربيين ليوفغليد فاتخذ من طليطلة عاصمة له ، وهاجم قوات بيزنطة في الجنوب فأجبرها على الإنسحاب من شبه الجزيرة ، ولكنها بقيت تحتفظ بسبتة الواقعة مقابل الساحل الجنوبي . وفي عام ٥٧٥ تمكن هذا الزعيم من تحطيم المملكة التي اقامها السوفيون في القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة بعد قدومهم اليها ٤٠٩ ، وأخذت المملكة القوطية الغربية الشكل الذي كان قائما يوم الفتح .

سقوط مملكة الغوط : بدأت المشكلة عندما تولى العرش الملك غيطشة خلفاً لوالده اخيكا دون تنفيذ الاتفاق الخاص بالانتخاب وبذلك وبذلك كرهه النبلاء , وحاول غيطشة تكرار ظروف اعتلائه السلطة حين اختار ابنه وقلة ، ليخلفه ولكن النبلاء كانوا هذه المرة على استعداد. فما أن توفى غيطشة في نهاية عام ٧٠٨ أو بداية العام الذي تلاه ، حتى قام بعضهم باعلان العصيان ضد الملك الصبي الجديد ، واستقل آخرون عن سلطة طليطلة ، في حين رأى قسم آخر منهم تجاهل وقلة واعلان دوق قرطبة ملكا على البلاد ، مما اضرم نيران الاضطرابات السياسية في القوطية . وتصدى الملك الجديد رودريك ، الذي عرفه العرب باسم لذريق ، لخصومه فأخضعهم بالسيف أو بالرشوة واستتبت له الأمور إلى أن جاءه رسول يبلغه أن جيشا نزل جنوب البلاد فحشد جنده وسار اليه متعجلا رده ودارت معركة مريرة مع جيش طارق بن زياد انتهت بهزيمة القوط وغرق أو هروب لذريق نفسه ، آخر ملوك القوط الغربيين المملكة هذه الهزيمة التي حلت بالقوط عام (٩٢هـ) كانت حاسمة ، كان القوط أمضوا في شبه جزيرة ايبرية أكثر من ٢٥٠ سنة ، ولكنهم لم يضيفوا الكثير إلى مابنته الأمبراطورية الرومانية بل عرفت في عهدهم الانحطاط الذي عرفته مع نزوح القبائل الجرمانية البربرية الأخرى ، التي لم تكن قد تعلمت بعد كيف تستوطن أو كيف تبنى يتكون خمسا شبه الجزيرة الايبرية من هضبة

مرتفعة تشطرها سلسلة من في عهد القوطي أوريش وضع أول قانون جرماني في شبه جزيرة ايبرية ولكنه كان بعيدا عن انصاف السكان الأصليين .

بلايو : بلايو (بلي أو بلاى) وقصته التي وردت الينا خليط من حقيقة وخيال ومبالغة ، ولكن الظاهر أن بلايو نفي من طليطلة أيام حكم الملك غيطشة ، ولكنه عاد لينضم إلى بلاط لذريق الذي جاء بعده . ولما هزم لذريق هرب بلايو إلى اشتورش مع اخته ولكنه اعتقل على يدى حاكم مدينة جيجون الواقعة على خليج بسقاية ، وبعث به رهينة إلى قرطبة لابعاده طمعا في أخته وتمضى الرواية لتبين أن بلايو تمكن من الهروب مرة ثانية ، وعاد إلى الجبال ليحرض الناس على العصيان وحمل السلاح ضد المسلمين دفاعا عما بقي من أرضهم وحريمهم ، وتمكن من ايقاع الهزيمة بالجند الذين أرسلهم حاكم مدينة جيجون لتأديبه . التجأ بلايو هذا إلى صخرة عاتية تعرف باسم صخرة كافودونغا ، وهي في جبال قمم أوروبة ، وأخذ يشن غاراته الصغيرة على المناطق المجاورة ، مستغلا انصراف الفاتحين إلى محاولة فتح بلاد غاله أو الأرض الكبيرة . ووجه الوالي عقبة بن الحجاج الذي حكم بين عامي (١١٦هـ- ١٢٣هـ) حملة إلى الشمال وافتتح جليقية وينبلونة ، وأسكنها المسلمين ، وعمت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة فإنه لجأ اليها ملك جليقية وكان بها في ثلاثمائة رجل فمازالوا يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلا ، وحتى فنيت أزودتهم ولم يتقوتوا الا بعسل يجدونه في خروق الصخرة ، وأعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وقالوا : ثلاثون علجا ؟ هؤلاء العلوج ، عادوا إلى توسيع سلطتهم واجتذاب الناقمين على ماعسى أن يجيء منهم الوجود الإسلامي في شبه جزيرة أيبرية ، مستفيدين من مرحلة جديدة مضطربة دخلت بها الأندلس وانشغل جنودها بقمع الفتن التي عمت البلاد . أما بلايو هذا فقد توفى سنة ٧٣٧ وخلفه إبنه فافيله مدة سنتين ، ومات دون أن يترك وريثا فانتقل ملك هذه الدويلة الصغيرة إلى زوج أخته المدعوة أرمسندة . الدويلة التي أنشأها بلايو لم تكن في واقع الحال أكثر من خلية عصيان ، تسكن منطقة نائية وعرة تعصف بها شتاء رياح شديدة البرودة ، ولاتكاد تصلح الا لرعي الماشية القليلة التي ملكها العصاة وهذه الخلية لم تكن الوحيدة في الشمال ، إذ كان هناك تجمع مسيحي في المناطق المحيطة بمدينة بامبلونا (بنبلونة) ، كما وجدت تجمعات أخرى في قطالونيا العليا ووديان أعالي جبال البيرينيه . ولابد أن موقع هذه التجمعات أهلها للحصول على دعم غاله والتحاق بعض سكان الأرض الكبيرة وبالتالي ازدياد أهميتها في إحداث المستقبل ، إلا أن نصيب التطور والنمو كان لدويلة بلايو وزوج ابنته وكان ابن نبيل يدعى بدرو (بطرة) . ولما مات بلايو وابنه من بعده ، تولى الفونسو المعروف بالأول وبـ « الكاثوليكي » قيادة جماعته من بليدة تدعى كانغاس دي أونيس . بينما كان الفونصو الاول ينتقل من انتصار الاخر كانت احوال الاندلس تسير نحو الاضطراب فكانت الاندلس في هذه الفترة تميزت بكثرة تبدل الولاة فقد تولى الولاية ٢٢ والي خلال ٤٢ سنة فكانت متوسط حكم الواحد منهم نصف سنه , فقد ثار البربر وبرز الصراع القبلي بين جيش الشامي والجيش البلدانيين ,كما كان اقليم الباسك على درجة من القوة فقد هزم جيش الوالي الاندلسي يوسف بن عبدالرحمن الفهري الذي بعث الى هناك . حكم الفونصو الاول دويلته لمده ١٨ سنه ثم خلفه ابنه فرويلة الاول فوسع الاخير حدود مملكته ومن اهم اعمالة بناء حصن اوبيدو (أوبيط) للدفاع عن ممر بخارس وتحول هذا الحصن الى مقر او عاصمة لملوك اشتوريش .

استطاعت المملكة توسيع مناطق سيطرتها في عهد الامير محمد بن عبدالرحمن فقامت بتدعيم الحصون الدفاعية كما كثرت التمردات ضد الامارة وهروب الناقمين عليها الى اشوريش اما بعد وفاة الامير محمد توسعت حركة وسعت اشتوريش مناطق سيطرتها

في عهد الامير المنذر وعبدالله بن محمد , نشط الفونصو الثالث في الشمال فعمر وحصن بعد المدن مثل مدينة سمورة وسيمانقة ومد نفوذه حتى نهر دويرة , حتى بلغت مملكة اشتوريش عند وفاته تسيطر على حوالى خمس شبة الجزيرة الايبيرية , ان هذه السرع لايعطي انطباع بأن مملكة اشتوريش نتصرت في جميع معاركها في الشمال ولكن هذه المملكة توغلت في مناطق جبلية ووعرة مما يصعب السيطرة عليها او ليس ذات اهميه , حكم الناصر نصف قرن وخلالها اعلن الخلافة وتلقب بأمير المؤمنين وصلت الاندلس في عهد لم تصل اليها من قبل وقد صادف ذلك وصول مملكة ليون (وهو الاسم الذي عرفت به المملكة التي اسسها الفونصو الاول مع ان ليون لم تصبح عاصمة للملكة الا في عهد غريسة الاول) الى مرحلة متقدمة من القوة والتطور حتى استطاع هزيمة الناصر في معركة الخندق سنه ٣٢٧هـ فقد كانت وحدة الممالك النصرانية سبب انتصارهم .

ممالك قشتالة وارغون والبرتغال : وصلت مملكة نافار الى اوج عظمتها في عهد سانشو الثالث الملقب بالكبير وقسم اراضي مملكتة بين اولاده الاربعة ومد سلطتة الى ليون وجليقية وقشتالة , بعد ان تزوج سانشة التي ورثت مملكة ليون وبذلك وحد ليون وقشتالة معاً , وكانت العاصمة برغش حتى هذا الوقت ولكنة انتقل الى طليطلة بعد سنتين من سقوطها بعهد الفونسو السادس , وفي القسم الشمالي قامت مملكة ارغون وكانت تعتمد على الدعم الكبير من غالة في بداية الامر كانت تابعة لمملكة نافار ولكن في عهد الملك رامون برنجير تعاون مع ايطاليا ووسع حدود مملكتة وعرفت بأسم قطالونيا وضمت هذه المملكة برشلونة وطركونة ولاردة وجيرونة , اما المملكة الثالثة البرتغال فيعود تاريخ تأسيسها الى الفونسو السادس فقد قدم شمال البرتغال هدية لزواج ابنته تبريزا من هنري البرغندي , وانفصلت هذه المملكة عن قشتالة وليون عام (٤٨٧هـ) وكان الفونسو انريكيت اول ملوكها , وهذه المملكة استغلت ضعف الاندلس ومدت سيطرتها الى الجنوب وبعد ذلك مدت نفوذها الى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وبقت حتى اليوم كياناً مستقلاً .

تأثير العوامل الخارجية في سقوط الاندلس :

١. غالة وسقوط الاندلس : ان فتح الشمال الافريقي والجواز الى الاندلس ادى الى الاصطدام بحاجزين طبيعيين , هما المحيط الاطلسي والصحراء الافريقية , وكان فتح الشمال الافريقي من اكثر الفتوح التي كلفت جهداً ودمائاً واستمرت حوالي ٧٠ عاماً حتى تمكن موسى بن نصير من اتمام الفتح . وامام توفق الفتح على المحيط الاطلسي وصعوبة الاستمرار نحو الجنوب بسبب الصحراء وقلة المياه والسكان ولذلك عبر طارق بن زياد الى الاندلس سنه (٩٢هـ) وبعد اتمام الفتح حدثت محاولات لفتح بلاد الغال فقد وصل الوالي السمح الخولاني الى تولوز ولكنة استشهد في معركة عام (١٠٢هـ) , وجاء بعده عنبسة الكلابي وتوغل حتى وصل الى قرقوشة ولكنة توفى عام ١٠٧هـ متأثراً بجروح , وعند تسلم الوالي عبدالرحمن الغافقي فقد توغل بعمق اراضي بلاد الغال وفتح مدينة بوردو ولكنة استشهد في معركة بلاد الشهداء عام ١١٤هـ .

اما شارلمان فقد جاء الى الحكم في فترة متميزة من تاريخ اوربا حيث فترة استيطان القبائل الجرمانية والقضاء على الجناح الغربي من الامبراطورية الغربية , ينحدر شارلمان من قبائل الفرنجة حيث رحلت من نهر الراين الى بلاد غالة وانتصرو على الغوط الغربيين في معركة فوبية تميزت الفرنجة بظهور شخصيات قوية ساعدت على توسعهم ومد نفوذهم بشكل كبير مثل بيبين الثاني وكارل المطرقة وشارلمان الذي حكم لمده ٤٦ سنه , كذلك ساعدت الضروف على ظهور هذه الاسرة فهناك مقولة فحواها لولا

العرب لما ظهر الفرنجة لان البابا وجد بتوسع المسلمين في بلاد الغال خطراً عليهن وعلن عن تأييده لملوك الفرنجة وكذلك جهوده الكبيرة في نشر النصرانية فقد عمد قبائل السكسون بقيادة زعيمهم فيدوكند واتسع نفوذه حتى اصبح يضم اغلب مناطق اوربا . كما ان الظروف كانت لصالح الفرنجة فقد ساءت احوال الاندلس وثارت البربر مع تصاعد قوة الكارلونجيين .

اما دور الفرنسسين في سقوط الاندلس بعد زوال الخلافة , فقد كان للفرنسيين دور في سقوط الاندلس حيث كانت تمد الممالك الشمالية بالعون المادي والبشري من المرتزقة , كان دورهم حتى عصر المرابطين يتميز بالدعم المادي والبشري , واما بعد ذلك فقد اتسم بطبيعة هجومية مؤثرة فقد شاركو بشكل موسع لاسقاط سرقسطة عام (٥١٢هـ) , فبعد اجتماع المطارنة الفرنسيين والاسبان تقرر اطلاق حملة نحو المدينة . كما شارك الفرنسيون بشكل كبير في معركتي الزلاقة والارك , اما بعد ذلك لم يستمر الدعم بنفس الكثافة الاولى وخصوصاً بعد معركة العقاب سنه (٦٠٩هـ) حيث بلغت الاندلس درجة كبيرة من الضعف وكذلك بلغت الممالك النصرانية مرحلة متقدمة من القوة مكنها من اسقاط المدن بشكل منفرد .

الحروب الصليبية الغربية في الاندلس (دور الكنيسة البابوية في سقوط الاندلس):

كانت فرنسا من اكثر الدول نصرة للكاثوليكية او النصرانية ابتداء من شارلمان وحتى قيام الامبراطورية الاسبانية , كان سقوط طليطلة عامل تشجيع ودعم للحملات الصليبية بغية تحقيق مزيد من الانتصارات فقد اقام البابا احتفالاً خاصاً بسقوط طليطلة ولاسيما ان الاندلس كانت الدولة الوحيدة التي استطاع النصاري استرجاعها بعد فتحها , لم يكن استعادة الاندلس حدثاً عادياً فقد فما استطاع تحقيقة الاسبان عجزت عنه اوربا مجتمعة في سبع حملات خلال قرنين من الزمن .

كان صعود البابوية وتطور النزاع الديني اسباب تعود الى القرن الرابع الميلادي بعد انشطار الامبراطورية الرمانية الى شطر غربي شرقي فكانت الامبراطورية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية وصلت الى مرحلة من القوي والتطور خصوصاً بعهد جستنيان فقد كان من اهم شخصيات عالمه , مع الوقت ضعفت هذه الامبراطورية وظهرت قوة فتية هي الدولة السلجوقية التي استطاعت السيطرة على مناطق واسعة من اراضي القسطنطينية وكانت معركة ملاذكر عام (٤٦٣هـ) التي خسرها الامبراطورية الرومانية وتم اسر الامبراطور رومانوس , وكذلك الاختلاف المذهبي بين الامبراطوريتين هذه الامور عجلت من التباعد بين الامبراطوريتين وفي الوقت نفسة بدءت اوربا تحشد لحروب صليبية كبرى .

اما البابا اوربان فقد تولى البابوية في فترة حرجة فكان الخلاف كبير بين الكنيستين الغربي والشرقية ,ولكن بعد معركة ملاذكر الشهيرة وهزيمة الكبرى واسر الامبراطور ,بعد تولى الكسيوس طلب العون من الغرب المسيحي ومن الكنيسة فعندا عقد البابا مجمعة الشهير في فرنسا في كليرمونت عام (٤٨٨هـ) وكان ذلك ايذاناً بدخول الغرب المسيحي والشرق الاسلامي صراع واسع النطاق , كما كان خطاب البابا موجة بشكل عام للاوربين وبشكل خاص للفرنسيون وبذلك كانت فرنسا من اكثر الدول مساهمه في الحروب الصليبية , وبالفعل انطلقت الحملة الصليبية واحتلت بيت المقدس ومات البابا اوربان الثاني في السنه نفسها التي سقطت بيت المقدس . اما البابا انوسست الثالث فقد حثد لحملة صليبية ثانية وسببها استعاده عماد الدين زنكي لمدينة الرها , تعرضت الحملات الصليبية لمقاومة شدشدة فقد استطاع صلاح الدين الايوبي استرجاع بيت المقدس . اما الحملة الصليبية الرابعة

فقد استمرت ثلاث سنوات وكالعادة بدعوة من البابة ولن وجهه الحملة مصر لاعتقادهم ان السيطرة عليها سيفتح الطريق الى فلسطين وللحصول على سفن البنادقة للوصول الى مصر فأن البنادقة بنيت تجارتها على الشرق الاسلامي وحملت الحملة الى العاصمة البيزنطية القسطنطينية التي استعطت على العرب الفاتحين , فدخلوا العاصمة ونهبوها .

اما دور الكنيسة في سقوط غرناطة فقد حاول الويس التاسع احتلال تونس عام (٦٦٨هـ) ولكن تعرض جيشة لطاعون وبذلك انتهت بالفشل وتوقف مد الصليبي في المشرق , اما في الغرب فقد تمكنت الممالك النصرانية من السيطرة على الجنوب الاندلسي وبقيت فقط غرناطة وقد اخضعت للجزية , استمر الوضع هكذا حتى اعتلاء الملكة ايزبيلا عرش قشتالة عام (٨٧٩هـ) , وتزوجت من فرناندو الخامس ملك ارغون وحدث الاندماج بين المملكتين ووجهت جهودها نحو الاندلس الصغرى بهدف انهاء الوجود الاسلامي , وجهت ايزبيلا رسالة الى البابا سيكستوس الرابع عارضة عليه المساعدة الانهاء مملكة غرناطة رحت البابا بهذه الرسالة ودعى الى توجيه حملة صليبية , وبعد وفاه سيكستوس الرابع خلفة البابا انوصان الثامن اصدر امرأ بابوياً ضد غرناطة وبالفعل تمكنو من السيطرة على غرناطة بعد استسلامها , وبذلك كتب فرناندو رسالة الى البابا يبشرة بالسيطرة على غرناطة .

العوامل الداخلية في سقوط الاندلس :كانت الاسباب الاقتصادية في مقدمة الاسباب التي ادت الى سقوط الاندلس فقد كان عدد كبير من النصارى واصبحت سياسة مرسومة لملوك النصارى فقد كان هدفهم زيادة اعدادهم في الشمال , فقد بسط ملوك اشتوريش سلطانهم على خمس ايبيرية , مع ان المناطق التي تحت سيطرة ممالك الشمال هي جبيلة وعرة قليلة السهول , ولكن عند تقدم اشتوريش نحو نهر دويرة وفر لهم الاراضي الخصبة ووفرة المياه وكذلك تقريب المعارك من المدن الاندلسية والسكان مما يولد نوعاً من الهجرات يقوم النصارى باستغلالها وكذلك تقربوا من نهر الوادي الكبير الذي يعد المصدر الام للملاحة والزراعة . كانت الاندلس في عهد الامارة والخلافة تتميز باقتصاد قوي ولكن الوضع لم يستمر فقد كثرت الثورات وحدوث المجاعة في اوقات متكررة عجل من تدهور الاقتصاد الاندلسي , كان الفلاح الاندلسي علية دفع جباية تتراوح بين ٢٠ – ٥٠٪ حسب نوع المحصول , كان القمح المحصول الاساسي في الاندلس وبعده الزيتون وكذلك القطن . اما الصناعة فان وفرة الزراعة من قمح وقطن وكذلك مواد اولية ادى ذلك الى ازدهار الصناعة في الاندلس فقد قامت صناعة المنسوجات والسكر والخزف والسجاد والعطور والمواد اليمانية والزجاج والسيوف بكافة انواعها وصناعة الملابس المتنوعة , اما الصناعات الثقيلة مثل السفن فقد كانت هناك حاجة ملحة لها بسبب التجارة والدفاع وتركزت في الجنوب الاندلسي فقد كانت السفن المستخمة الاخضاع جزيرتي ميوروقة ومنورقة عام ٢٣٨هـ حوالي ٣٠٠ سفينة .

اما بخصوص التجارة فأن وجود الفائض الزراعي وقيام الصناعات الأندلسية المختلفة أوجد أسس نشوء تجارة نشطة عادت على الأندلس بالرخاء الوفير ومنحتها القوة التي مكنتها من التصدي للشماليين حتى بعد انهيار الخلافة ؛ وان كان هذا الرخاء قد أجج أطماع الممالك الشمالية بما توفر للأندلسيين . ومنذ نشوء الإمارة القرطبية تكاملت القدرات الإدارية اللازمة لبدء عملية بناء الاقتصاد الأندلسي ، فاعتمدت في بداية الأمر جميع الأوزان والمقاييس ذات الأصل الروماني ، وسك عبد الرحمن الداخل الدينار القرطبي فأصبح عملة مقبولة أرجاء الأندلس ، وكثير من دول أوروبة لأن من المعروف أن العملة في غاله كانت تزن نصف الدينار القرطبي ،وكانت المبادلات التجارية تتم بالدينار العربي . ولكن العملة التي سكت بأمر عبد الرحمن لم تكن العملة الأولى التي

تضرب في الأندلس ، فقد سعى موسى بن نصير في بداية عهد الفتح إلى إبراز مظهر السلطة الإسلامية في ايبرية وضرب أول النقود وإن كانت صورة عن النقود المستخدمة في إيبرية قبلا ، سواء من ناحية المعدن أو الكتابة بالأحرف اللاتينية استبدال المعاني المسيحية بأخرى إسلامية ، وإضافة التاريخ الهجري عليها . فشملت الصادرات المنسوجات والملابس والمصنوعات اليدوية المتنوعة . ولاشك أن تجارة العبيد الصقالبة كانت أهم تجارة تعاملت بها الممالك الشمالية الصغيرة ، وكان هؤلاء يؤسرون من مناطق وسط أوروبا ودول البلقان حاليا ، وينقلون إلى الأندلس ومنها إلى المغرب « وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس » . هذه التجارة كانت مصدر رخاء كبير بالنسبة لمدن مثل بمبلونة وبرشلونة ، وعادت على الشماليين بدخل استخدم بعضه لشراء المنتوجات الأندلسية المتنوعة ، والبعض الآخر للانفاق على الجنود . فالتجارة في تلك الفترة ، كما كانت اليوم تتم دون الالتفات كثيرا إلى بعدها العسكري ، حتى أن ملوك الشمال الايبيري درجوا على شراء ملابسهم من الجنوب ، ولاسيما الحريرية منها ، خلال فترات اندلاع الحروب بين الجهتين . هي كما لعبت الأندلس دورا رئيسيا ، كمركز لإعادة تصدير البضائع الشرقية والمغربية إلى الشمال وأوروبة ولاسيما التوابل والمكسرات والعطور وغيرها من المواد ، وكان التجار الأندلسيون يشحنون زيت الزيتون إلى المشرق ويستوردون التوابل والأقمشة والمصنوعات اليدوية وغيرها ، مما لم يتوفر في الأندلس . والسلامة النسبية التي سادت البحر الأبيض المتوسط كانت عاملا مهما في زيادة التبادل التجاري مع الأندلس إذ كان البحر من مناطق النفوذ العربي اعتبارا من القرن السابع الميلادي أثر معركة ذات الصواري ، ولكن الحركة التجارية كانت أنشط مع المغرب لاسيما المغربين الأوسط والأقصى .

اما الاقتصاد في الممالك الشمالية فقد كان الشماليون يتعاملون بدينار قرطبة ودیناري بيزنطة وغاله ، وكان المصدر الرئيسي للدخل هو الماشية التي يملكونها بالإضافة إلى دخل محدود من الزراعة والصناعة وتجارة العبيد . إلا أن التعامل التجاري ضمن المناطق الشمالية كان يجري ، بطريق المقايضة ، إلى أن أدخل هؤلاء بعض مظاهر النظام المالي من عاصمة الأندلس ، وساهم بعض من رحل إلى الشمال من المستعربين واليهود ، في ايجاد نشاط أفضل ، سواء في مجالات الصناعات أو الزراعة . وقبل انهيار الخلافة الأندلسية كانت ممالك الشمال ضعيفة ، كما يتضح من الإغارات التي شنها عليهم المنصور حتى وفاته في مدينة سالم الشمالية . ومع قيام ممالك الطوائف توفر للشماليين دخل جديد سهل جاء عن طريق فرض الجزية ، وهو عمل مارسه الفونسو السادس بنجاح كبير إلى أن أخذ يتوغل في الجنوب منوجا انتصاراته باحتلال طليطلة ، ثم تقدم الشماليون فيما بعد لاستيطان المناطق الواقعة في وادي شهر تاجه . وفي القرن الثالث عشر أنهت ممالك الشمال احتلال معظم اراضي الأندلس واتبعتها باحتلال غرناطة سنة (١٤٩٢م) . وعلى أية حال فإن اقتصاد ارغون انفصل عن قشتالة منذ القرن الثالث عشر ، حين بنت ارغون امبراطوريتها في البحر الأبيض المتوسط ، فطورت أسطولها التجاري وأقامت امبراطورية تجارية زاحمت الايطاليين ، حتى تعرضت إلى الاضمحلال في القرن الخامس عشر قبل أن تلتهمها قشتالة ، كما التهمت الأندلس ، وكما حاولت بعد ذلك التهام البرتغال واعتماد قشتالة على الماشية نابع من عدم تمكن قشتالة من تطوير أية صناعة حقيقية . وكل ماوجد من صناعات في الشمال كان بصورة أساسية في أيدى المستعربين النازحين من الأندلس ، أو في أيدى اليهود . ومع احتدام القتال مع الأندلس اعتبارا من القرن الثاني عشر، أضحى الاعتماد على الماشية أمرا تفرضه طبيعة الحرب . فلو حدث مثلا وأغار جيش على قلعة أو مدينة ما فإن من السهولة على الرعاة جمع ماشيتهم خلال ساعات والعودة بها إلى داخل أسوار المدينة . وعلى هذا فإن اسقاط مدينة معينة كان يتم في العادة

على ثلاث مراحل : الأولى الإغارة على المنازل المكشوفة المحيطة بتلك المدينة ، واحراق الزرع وقطع الأشجار والماء أو تحويل الجداول الصغيرة ، وتشير بعض المعلومات إلى أن ايزابيلا وفرناندو وظفا حوالي ٣:١٠٠٠ جندى لشن حرب اقتصادية شاملة ضد غرناطة ، احرقوا فيها الزرع والمحاصيل حتى اضطرت المدينة إلى الاستسلام . أما المرحلة التالية من الحصار فهي الاستيلاء على نقاط التحصين القريبة أو المنابر ، وقطع طرق التموين التي كانت تستخدم لنقل المؤن على البغال والحمير في العادة ، واذا ما انتهت المرحلة الثانية ضرب الجيش المعاصر النطاق حول المدينة إلى أن يجوع أهلها ويضطروا للاستسلام . ولذا فإن حصار مدينة متوسطة الحجم كان يستغرق عدة سنوات في بعض الأحيان من وسبب اعتاد الاقتصاد القشتالي على الماشية والنهب عدم توفر الخبرة اللازمة لإدارة اقتصاد معقد يقوم على دعائم مشتركة ذات أداء يعتمد قسمه على القسم الآخر ، والقشتاليون توغلوا في الأندلس خلال القرن الثالث عشر فدخلوا مناطق لايعرفون كيف يديرون عجلة الزراعة والتجارة فيها ، ويعرفون الأقل من ذلك عن الصناعة ، ودخول قوات الشمال المدن الأندلسية أدى على الفور إلى تقويض دعائم الصناعة والتجارة ، ولكن النبلاء الذين حصلوا على قطع من الأرض بعد احتلالها وانتزاعها من الأندلسيين كانوا يأملون في التمكن من الاحتفاظ بالمزارعين واستغلالهم . وفي الحالات التي بقي فيها عدد كاف . المزارعين الأندلسيين ، كما حدث في ارغون مثلا وبعض مناطق الأندلس ، تابعت الأرض انتعاشها ، أما في معظم الحالات الأخرى ، فإن الأرض تحولت إلى بلقع مع الزمن فباع من تمكن الأرض التي اقطعه الملك اياها ورحل إلى الشمال ثانية . ولكن هناك بالطبع من استفاد من تخريب الأرض وهؤلاء كانوا من أصحاب الماشية التي ملكها الأفراد ، ولكن سيطرت على معظمها الأنظمة الدينية وخاصة وسط البلاد ومايزال الوسط الأندلسي حتى اليوم يبدو وكأنه ساحة قتال قاحلة فقيرة بالشجر والخضار فقد استخدمت تلك المنطقة للرعي ومن جاء من ملوك قشتالة فيما بعد دعم مبدأ تفضيل الرعي على الزراعة ، وأصدر المراسيم التي تفتح الأراضي أمام الماشية على حساب الزراعة . على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ايبرية أدى انهيار مدن مثل المرية وغيرها إلى مساعدة مدن شمالية مثل برشلونة على تطوير تجارتها مع أوروبة والمشرق . وهناك بعض السجلات التي تشير إلى أن ارغون كانت تتاجر مع تونس اعتبارا من القرن الثالث عشر ، عندما قررت الاتجاه إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، التنافس البندقية وفلورنسا وجنوا إلى أن وصل التنافس مرحلة الحرب السافرة . ثم تمت برشلونة إلى أن أصبحت واحدة من أكبر ورشات صناعة السفن في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وبرشلونة كانت مركزا لتصدير بعض المنتجات الزراعية والصناعية الأندلسية ، قبل سقوط معظم مناطق الأندلس في القرن الثالث عشر ، بل أن دورها يمتد إلى فترة الخلافة القرطبية . ولأن الوجود الأندلسي فيها كان كبيراً ، فقد تمكنت برشلونة من تصدير الأسلحة والجلود والأقمشة وجميع ماتحتاج إليه السفن ، بالإضافة إلى عدد من المنتجات الزراعية من المناطق المحيطة ببلنسية مثل الزبيب والجوز ، وكذلك إعادة تصدير التوابل إلى فرنسا وانجلترا وغيرها من المناطق . وكانت تجارتها نشطة مع مصر وتلمسان وتونس ، ثم أضيف إلى هذه الأنشطة التجارية مجددا العبيد خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولكن أوج الرخاء الذي عرفته أرغون كان في القرن الثالث عشر والقسم الأعظم من القرن الرابع عشر ، حينما حاولت اللحاق بركب الممالك الايطالية التي كانت أول من استفاد من الثورة التجارية التي قامت في آخر القرن الحادي عشر استجابة لمتطلبات الحروب الصليبية ومد خطوط التموين والنقل بين أوروبة والمشرق . وما إن جاء عام (١٣٨١م) حتى نزلت بارغون مشاكل مالية معقدة اضطرت بعدها إلى التقهقر أمام تقدم الايطاليين . ومنذ اكتشاف العالم الجديد ساهمت ارغون في الاتجار ممالك ماوراء الأطلسي . وكان لسياسة ايزابيلا المعادية للزراعة أثر كبير في إضعاف

الاستغلال الزراعي مايزال باقيا حتى يومنا هذا ، وفضل الكثيرون توظيف الاستثمارات في الماشية بدلا . من الزراعة والتجارة والصناعة . ووراء هذه السياسة خلفية نفسانية مهمة ميزت القشتاليين عن غيرهم إذ كان هؤلاء يتفعون عن القيام بالأعمال اليدوية ، ويعتبرونها تحقيرا لشأنهم. ولذا فقد ظلت الأقليات تسيطر على النشاطات الصناعية والزراعية القليلة ، وبقي القشتاليون يعتقدون أن وظيفة الآخرين فلاحة الأرض وانتاج المصنوعات ، ولكن وظيفتهم القتال وحكم شعوب الأرض الأخرى .

كانت النزاعات الداخلية تردد الوليد بن عبد الملك الخليفة في فتح الأندلس يعكس المخاوف التي ساورته من عبور المسلمين إلى أرض لايعرف عنها الكثير ، واحتمال تعرضهم للتهلكة دون الممكن ، نجدتهم في الوقت المناسب لاسيما وأن مرحلة الفتح الأولى استلزمت استخدام عدد قليل جدا من السفن لم تكن كافية لاجلالهم لو دعت الضرورة لذلك ، ولم تتوفر السفن الكافية لامدادهم لو أن طارق بن زياد لم يحرز انتصاره الحاسم على الجيش القوطي في معركة وادي لكه سنة ٧١١ (٩٢) . هذه المخاوف دعت الخلافة الأموية في دمشق إلى التسامح في التعامل مع الفاتحين الأوائل بالنسبة لتقسيم الأراضي ، حتى ولو كان ذلك على حساب بيت المال ، وسعت إلى تشجيعهم على البقاء في الأراضي الجديدة واعتبارها ثغرا من ثغور الجهاد خلال مرحلة فتح اسلامي لم يعرفها التاريخ من قبل . والأندلس ، بحكم طريقة فتحها ، كانت تتبع والي أفريقيا (تونس) احيانا وتتبع رغبة البلديين الأندلسيين أحيانا أخرى . واستمرت الصلة قوية حينا واهية حينا آخر ، حتى سقطت الخلافة الأموية سنة هـ١٣٢ وقامت العباسية على انقاضها وارتحل إلى الأندلس عبد الرحمن الداخل حفيد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فأسس إمارته في قرطبة وألغى الدعاء للخليفة ، مكرسا أول انفصال رئيسي لمنطقة سيطر عليها المسلمون عن الجسد الأشمل من ومنذ قيام الإمارة تحتم على الأندلسيين الاعتماد على أنفسهم لرد كل القوى التي حاولت غزو الأندلس سواء كانت الشمال ، أو المملكة الكارولنجية (الفرنسية) أو من النورمان ونجحت من قرطبة في ذلك إلى أن انهارت الخلافة واستدعي المرابطون بعد سقوط طليطلة على يدى الفونصو السادس سنة (٤٧٨هـ) . ولعل من الصعب النظر بغير الاعجاب إلى السلطة التي أرسى عبد الرحمن دعائمها في الأندلس ، إذ استمرت ثلاثة أضعاف ما استمرت عليه الخلافة الأموية ، وفاقت في عمرها السلطة الفعلية للخلافة العباسية ، بينما بقيت غرناطة بعد (٢٣٤هـ) سنة من اجتياح المغول لبغداد ، واستمر التأثير الأندلسي مهما حتى بداية القرن السابع عشر . وبقاء قرطبة تلك السنوات الكثيرة يضع كل القلاقل والأخطار الخارجية التي تهددتها في فترات مختلفة ، ضمن إطار المشاكل التي أمكن السيطرة عليها ، ولكن هذا لا يمنع القول بأن بعض تلك الأخطار ، ولاسيما الداخلية منها ، كادت في لحظات كثيرة تقوض سلطة قرطبة وتعجل في سقوط الأندلس . ثم جاء عبد الرحمن فاستعان باليمانية للتغلب على القيسية والانفراد بالسلطة ، إلا أن هذا تسبب في انتفاض العصبيات كلها على حفيد هشام بن عبد الملك ، بما في ذلك اليمانية والبربر الذين كان لهم باع طويل في معظم الثورات الداخلية التي اندلعت في الأندلس . ولكن عبد الرحمن الذي تمكن بحنكته وبطشه من الوصول إلى الحكم ، استطاع بفضل هذه الصفات ذاتنها المحافظة على ماحققه والقضاء على جميع مراكز العصيان في الأندلس بالإضافة إلى افشال مخططات شارلمان ودب الفوضى في صفوف الشماليين ، وإن كانت الممالك الشمالية في تلك الفترة ترسخت وبنت حجر الأساس الذي قامت عليه فيما بعد الممالك التي اجتاحت الأندلس . وتوفى عبد الرحمن سنة ١٧٢هـ متيحا المجال أمام هشام الرضا ومن بعده الحكم الربضي ، لتوطيد الإمارة الأموية في الأندلس . إلا أن الأندلس لم تكن بعيدة عن نزاعات السلطة المعروفة في المشرق فانقلب ابنا عبد الرحمن ، سليمان وعبد الله ، على أخيهما الأوسط هشام واستمرت الفتنة سنتين كانت الغلبة بعدهما لهشام ، إلا أنهما عادا

للمطالبة بالإمارة بعد وفاة هشام وتولي ابنه الحكم السلطة ، وانتهت الفتنة الثانية بمقتل سليمان واخضاع عبد الله . وصفة الربضي التي اطلقت على الحكم تذكير لبطشه بالثائرين عليه في ربض قرطبة ، إذ نشبت ثورات في الثغور الأعلى والأوسط والأدنى استمرت سنوات عديدة وتزعمها المولدون والبربر والمستعربون في وقت قويت فيه مملكة اشتورش الشمالية ، وباتت تحقق توسعات على حساب الأندلس وتدعم الثورات ضد قرطبة . هذه الثورات تجددت في فترات لاحقة وامتدت إلى الجنوب مهددة عاصمة الامارة ، ووصلت ذروتها في عهدي الأمير المنذر وعبد الله محمد ، مما اضطر العرب للتكتل دفاعا عن أنفسهم أمام عجز أمير قرطبة فانحصر سلطانه حتى كاد لايتجاوز حدود المدينة ، وتمزقت هيبة الأمير تحت ضربات أصحاب الفتن من أمثال عبد الرحمن الجليقي وعمر بن حفصون . وثورة ابن حفصون أهم الثورات التي عرفتها الأندلس ، فقد استمرت نصف قرن تقريبا وعاصرت أربعة أمراء إلى أن تمكن عبد الرحمن من القضاء عليها ، فأعلن نفسه بعد ذلك خليفة وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله . إلا أن المهمة التي وقعت على عاتق خليفة قوى مثل الناصر لم تكن سهلة ،كما يتضح من قول المقرى ، فايام سرور الناصر كانت أربعة عشر يوما أمر ليس بهين على خليفة حكم حوالي نصف قرن وتوفى سنة ٣٥٠هـ من وهو استفاد الحكم الثاني المستنصر بالله من تجارب غيره وحصد مازرعه والده ، وحكم دولة مستقرة موحدة وشغف بالعلوم والمكتبات ، ولكنه توفى تاركا السلطة لابنه هشام المؤيد بالله وله من العمر احدى عشرة سنة ، فانفرد محمد بن ابي عامر الحاجب المنصور بالحكم ، وقضى على خصومه والخضع الشماليين في غزوات متعددة إلى أن توفاه الله ، وأصبح الطريق مفتوحا للفتنة والخفقت جهود المخلصين في لم الشمل وجمع الكلمة ، وبدأ مايعرف باسم عصر الطوائف . وفي حين أثنى بعض المؤرخين على المنصور ، فإن البعض الآخر وجه إليه النقد واللوم واعتبره سببا لما اصاب الأندلس فيما بعد ، وخاصة المماليك لاكثاره من المرتزقة في صفوف جيشه ، مع أن هذا المنحي لم يكن حصرا على المنصور إذ لجأ إليه عبد الرحمن الداخل حين اشترى أعددا كبيرة من المماليك ، ثم ابتاع الحكم الربضي الكثير من وصل عددهم إلى خمسة آلاف شخص منهم ثلاثة آلاف فارس . وكان الاعتماد على المرتزقة من سمات ممالك الطوائف . وكانت العلاقات بين الحكام قائمة على التحرز والحذر وانفاق الأموال في بناء الحصون والاستكثار من المرتزقة في حال الدفاع ، إذ غدت مشكلة الحدود الداخلية أهم مشكلة وأبرزها بين أولئك الأمراء ،كما حدث عندما سقطت طليطلة على يدي الفونصو السادس . وسقوط عاصمة الثغر الأوسط كان نكبة عظيمة بالنسبة للأندلسيين ، وسببا في دخول تاريخ البلاد مرحلة جديدة تمثلت بمجيء المرابطين وسيطرتهم فيما بعد على مقاليد السلطة في الأندلس إثر القضاء على ملوك الطوائف ,كما أصبح التاريخ الأندلسي مرتبطا باحداث العدوة المغربية وخاضعا في معظمه للقوى المنتصرة هناك . فقد يرضخ البعض لتطورات تجبه على قبول حكم الشماليين ولكن البعض الآخر كان يفضل الرحيل أولا إلى المناطق الأندلسية التي ماتزال تحت سيطرة اخوانه أملا في أن يشتد عودهم فيحررون أرضه ، ثم إلى العدوة المغربية كما حدث بالنسبة لكثيين ممن رحلوا عن اراضيهم بعد معركة العقاب . تكلم المعتمد بن عباد أمير اشبيلية بلسان الكثيرين حين كان الخيار بين الشماليين وأهل العدوة فاختار أهل العدوة على وزن قوله الشهير (رعي البعير ولا رعي الخنازير) . حدث ذلك بعد أن احتل الفونصو السادس طليطلة ، وأخذ يتهدد الجنوب فلجأ المعتمد وغيره إلى الاستنجاد بالمرابطين وقاتلوا إلى جانبه في معركة الزلاقة التي جرت سنة (٤٧٩هـ) وانتهت بهزيمة منكرة لحقت بالفونصو ، رغم أن الدعوة هذه أدت إلى اعتقال المعتمد ونفيه إلى اغمات التي كانت عاصمة المرابطين قبل انتقالهم إلى مراكش . واختيار المعتمد هنا كان الاختيار بين سلطة المسيحيين أو سلطة المسلمين ، وقد طرح هذا الخيار أمام النصاري المعاهدين في غرناطة بعد ذلك ، فاختاروا الانقلاب

على المسلمين ، واستدعوا ملك ارغون الفونسو الأول للاستيلاء على غرناطة فنظم حملة سنة (٥١٩هـ) اخترق بها الأندلس من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ولكن دون أن يوفق في احتلال اية مدينة وعاد ومعه الآف النصاري المعاهدين إلى مملكته , والخلافات الداخلية التي أدت إلى تقدم الشماليين نحو الجنوب واستدعاء المرابطين الذين أفسحوا المجال بعد انهيارهم لقيام الموحدين ، تكررت في آخر عهد مملكة غرناطة ، فانقلب أبو عبد الله محمد المشهور بالصغير ضد أبيه ابو الحسن على بن سعد ، ثم انقلب أبو عبد الله الصغير ضد عمه أبو الله محمد الزغل فكان ذلك طعنة أخيرة وجهت إلى آخر الممالك الإسلامية في غرناطة فاستسلمت شك سنة (٨٩٧هـ) , ومهما كانت طبيعة الدوافع التي أدت إلى سقوط الأندلس فليس هناك في أن التناحر الداخلي كان أهمها .